

ماذا تصرف عن نبي الأُمّة؟ صلّى الله عليه وسلم

رسالة كتبها فضيلة الشيخ /

طالب بن محمد بن حمّاد الكثيري

رئيس المجلس العلمي للإفتاء برابطة أهل الحديث باليمن
وأستاذ الفقه المشارك بجامعة سيئون

ماذا تعرف عن نبي الأمة ﷺ

د. طالب بن عمر الكثيري

www.talebkh.com

اقرأ في هذا المقال :

- ✓ الميثاق الذي أخذه الله على جميع المرسلين .
- ✓ المقام المحمود، و " أنا لها " .
- ✓ ماذا تعرف عن درجة الوسيلة في الجنة ؟
- ✓ الدعوة المخبأة .
- ✓ غيرة كلب الصيد ..
- ✓ فاز بها الأعرابي !

إن بعثة النبي ﷺ من أعظم النعم التي من الله بها علينا، ومن أجل المنن التي تفضل الله بها علينا- معاشر المؤمنين-، وقد قال الله تعالى وهو يصف هذه المنة العظيمة: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) .

إنَّ البريةَ يومَ مبعثِ أحمدَ نظرَ الإلهُ لها فبدَّلَ حالها

بل كَرَّمَ الإنسانَ حينَ اختارَ من خيرِ البريةِ نجمَها وهلالها

لبسَ المرقعَ وهو قائدُ أمةٍ جبتِ الكنوزَ وكسرتَ أغلالها

فأيِّ شرفٍ هو شرف نبينا محمد ﷺ، وأي منزلة هي منزلته، والله يقول: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)، فماذا يقال بعد ذلك وقد قالها الله تعالى: (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا).

خصائص النبي ﷺ على سائر الأنبياء والرسل :

لعلك تعرف أن نبينا ﷺ فضله الله عز وجل على سائر الأنبياء والمرسلين، لكن لماذا لا نقف قليلاً على ملامح هذا التفضيل :

- لقد أخذ الله تعالى الميثاق على جميع المرسلين من آدم إلى عيسى عليهما السلام إذا بُعث في زمان أحدكم محمد ﷺ وجب عليه أن يؤمن به ويتبعه ولا تمنعه نبوته من اتباعه، وأخذ كل رسولٍ ونبي على قومه العهد والميثاق أن يؤمنوا بمحمد ﷺ إذا بُعث في زمانهم وأن يتبعوه، قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ

كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ، فأى فخرٍ هذا الفخر، وهو القائل ﷺ: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" [أخرجه مسلم: ٢٢٨٧].

• ولو أنك تأملت كتاب الله، وربنا عز وجل ينادي الرسل بأسمائهم؛ فيقول سبحانه: (يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)، (يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا)، (يا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)، (يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ)، وهكذا ينادي الله ﷻ في القرآن سائر النبيين فيقول: (يا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ)، (يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ)، (يا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)، (يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ)، (يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ)، ولما جاء نداء مُحَمَّدٍ ﷺ لم يناديه ربه باسمه، بل ناداه بأكرم وصف وأشرف لقب فقال سبحانه: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ)، (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ)، فما أعظم هذا النداء، وما أشرف هذا الخطاب!!

صلى عليك الله يا علم الهدى واستبشرت بقدمك الأيام

هتفت لك الأرواح من أشواقها وازينت بحديثك الأقلام

• وإذا جاء يوم القيامة وازدحم أهل الموقف في العرصات، وتأخر كل الرسل عن الشفاعة، واعتذر كل رسول بذنب أصابه؛ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وقالوا: نفسي، نفسي، نفسي، قال نبينا مُحَمَّدٌ ﷺ: أنا لها، فيقوم ويسجد لربه ويدعوه ويثني عليه بأعظم المحامد، فيقول له رب العزة سبحانه: يا مُحَمَّدُ ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيسأل الله فصل القضاء بين أهل الموقف، فهذا هو المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، ولا تظن أيها الشاب المبارك أنك لا تعرف رسولك يوم القيامة، كيف وهو القائل: "ويدي لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر" [أخرجه الترمذي: ٣١٤٨].

• ثم لو نظر الناظر فيما أيد الله به رسله من آيات ومعجزات لظهرت له المنزلة الرفيعة التي اختص الله بها نبينا مُحَمَّدٌ ﷺ على سائر الأنبياء، فإن كان الماء تفجر من الحجر معجزة لموسى عليه السلام، فإن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء، لكن ماذا تقولون فيمن نبع الماء من بين أصابعه صلوات ربي وسلامه عليه!، وإن كان كلهم الله موسى عليه السلام كلمه ربه بالطور في الوادي المقدس، فما تقولون فيمن كلمه ربه في أعلى سماء عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، وإن كان عيسى عليه السلام أبرأ

الأكمه مع بقاء عينه في مقرها بإذن الله، فرسول الله ﷺ رد العين بعد أن سألت على الخد وأبصر الرجل بها، وإن كانت معجزات الأنبياء قد انتهت وانقرضت فإن معجزة محمد ﷺ باقية إلى قيام الساعة، وإن كانت كتب الأنبياء قد حُرفت وبُدلت فإن قرآن محمد ﷺ باقٍ إلى قيام الساعة، بل هو القائل ﷺ: " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة"، [أخرجه البخاري: ٤٩١٨ ومسلم: ١٥٢].

• وإذا أتى المؤمنون الجنة رأوا نهرًا حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينته المسك، إنه نهر الكوثر الذي أعطيه رسولنا الكريم، وإذا وقف الناس بالعرصات فحوضٌ طوله شهرٌ وعرضه شهرٌ ماءؤه أحلى من العسل وريحه أطيب من ريح المسك، من شرب منه شربةً واحدةً لم يظمأ بعدها أبدًا، هو حوض نبينا ﷺ، وفي الجنة درجة عالية لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله يقال لها: " الوسيلة"، يقول نبينا ﷺ: " وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة"، [أخرجه مسلم: ٣٨٤]، اللهم فبليغ رسولنا الوسيلة، وارزقنا شفاعته .

• ومن خصائصه ﷺ ما خص الله به أمته:

ولتعلم أن كل نبي يكتب له من الأجر - فوق أجر أعماله - بقدر أعمال أمته وطاعتهم؛ ورسولنا الكريم أمته خير أمة، وأكثر أمة، وهم شطر أهل الجنة، أمته ﷺ أحلت لها الغنائم ولم تحل لأمة قبلها، وجعلت لها الأرض مسجدًا وطهورًا، وأمته ﷺ لا تجتمع على ضلالة، ويأتون يوم القيامة شهودًا على الأمم وهي تقول: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فتشهد أمة الإسلام لكل رسول بأنه أنذر قومه، فما أعظمها من شهادة بين يدي الله يوم القيامة، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)، فأبشري يا أمة الإسلام أبشري ف " نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق، ونحن أول من يدخل الجنة"، [أخرجه مسلم: ٨٥٦] ، أبشري فكل رسول قد تعجل دعوته، وخبأ رسولنا الكريم دعوته المستجابة شفاعته لمن لم يشرك بالله شيئًا من أمته، وأي بشارة أعظم لهذه الأمة من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) قال: "إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله"، [أخرجه الترمذي: ٣٥٠١].

هذا بعض ما خصه الله به، وهذا بعض ما قدمه محمد ﷺ رحمة وهداية لأمنه،
لكن أين ما قدمنا نحن له، أمر أين نصرتنا له بعد مماته وقد خالفنا عن
نصرته في حياته!!

كلب الصيد يغار بأمة الإسلام أن ينتهك عرض نبيكم

صلوات ربي وسلامه عليه: ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في تاريخه الدرر الكامنة ٢٠٢/٣ هذه القصة العجيبة قال: كان النصارى ينشرون دعواتهم بين قبائل المغول طمعاً في تنصيرهم، وقد مهد لهم الطاغية هولاءكو سبيل الدعوة بسبب زوجته الصليبية ظفر خاتون، وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولي كبير؛ عقد بسبب تنصر أحد أمراء المغول، فأخذ أحد دعاة النصارى في شتم النبي ﷺ، وكان هناك كلب صيدٍ مربوط، فلما بدأ هذا الصليبي الحاقد في سب النبي ﷺ زجر الكلب وهاج، ثم وثب على الصليبي وخمسه بشدة، فخلصوه منه بعد جهد .. فقال بعض الحاضرين: هذا بكلامك في حق محمد عليه الصلاة والسلام، فقال الصليبي: كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس رأني أشير بيدي فظن أنني أريد ضربه، ثم عاد لسب النبي ﷺ وأقذع في السب، عندها قطع الكلب رباطه، ووثب على عنق الصليبي وقلع زوره في الحال؛ فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم نحو أربعين ألفاً من المغول!! .

و نحن لا ننظر الآن ما يؤكده نصرته العجماوات لسول الأمة الكريم، بل
نساءل كيف نستطيع ونحن أمة المليار أن ننصره ﷺ!

بعض حقوقه ﷺ على أمته:

أولاً: الإيمان الصادق به ﷺ وتصديقه فيما أخبر عنه، يقول ربنا سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وقال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) .

ثانياً: وجوب طاعته ﷺ والحذر من مخالفته: قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)، وقال: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، وفي صحيح البخاري [أخرجه البخاري: ٧٢٨٠] من حديث أبي هريرة رضي

الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله ومن أبي، قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي".

ثالثاً: محبته ﷺ أكثر من الوالد والولد والناس أجمعين: وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"، [أخرجه البخاري: ١٥٠٥ ومسلم: ٤٤] ، فهيناً لمن فاز بما فاز به الأعرابي وقد سأله عن الساعة، فقال ﷺ: " ما أعددت لها ؟"، قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال له: " أنت مع من أحببت"، [أخرجه البخاري: ٧١٥٣ ومسلم: ٢٦٣٩].

- ولحبه ﷺ علامات يعرف بها الصادق من الكاذب، ومنها: التأدب بآدابه، والاقتداء بهديه، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ومنها أيضاً: نصرته حياً وميتاً، وإحياء سنته ونشرها وتعليمها الناس .

رابعاً: احترامه وتوقيره ونصرته ومحبة آله وأزواجه وأصحابه: كما قال تعالى: (لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُحَرِّرُوهُ وَتُوقِرُوهُ) .

خامساً: الإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ: وفي التنزيل: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، فمن صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، كما في صحيح مسلم .

سادساً: وجوب التحاكم إليه والانقياد لحكمه: وهذه علامة ظاهرة من علامات الإيمان، وفيه يقول ربنا سبحانه: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، وإنما يكون التحاكم إليه بالتحاكم إلى سنته وإلى شريعته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

سابعاً: إنزاله مكانته ﷺ التي أنزله الله إياها بلا غلو ولا جفاء: فهو عبد لله فلا يعبد، ورسول من عند الله فلا يكذب، فاحذرن الظلم في جناب رسولنا الكريم غلوًا أو تقصيرًا، وتدبر! فقد علمه ربه أن يقول: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

فهلا صرخت بأعلى صوتك: خري دون خرك يا رسول الله، هلا أسمعت الدنيا:
فذاك أبي وأمي يا أبا القاسم، لكن احذر أن تكون مجرد كلمات تقال،
ولتنظر في نفسك هل قمت بحقوقه السبعة!!

لمزيد من الفائدة والإطلاع، راجع :

- بداية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ، للعلامة العز بن عبد السلام/ تحقيق العلامة الألباني.
- كشف الغمة بخصائص النبي ﷺ والأمة، للشيخ أبي الحسن مصطفى بن إسماعيل المأري.
- وداع الرسول لأمته، دروس - وصايا - عبر وعظات، للشيخ سعيد بن علي القحطاني.
- حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: د. محمد بن خليفة التميمي.